Hespéris-Tamuda LXI (1) (2026): 133-152

The *Mihrabs* and the Deviations of the *Qibla* in Ifriqiya Islamic Mosques

Al-Maḥārib wa'inḥirāfāt al-qiblat bial-masājid wa al-ljawāmi' al-'islāmiyya bi'ifrīqiya

المَحَارِيبُ وَإِنْحِرَافَاتُ القِبْلَةِ بِالْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ الإِسْلاَمِيَّةِ بِإِفْرِيقِيَّةَ

علي النّابتي

أستاذ، مكلّف بالبحوث الأثريّة والتّاريخيّة بالمعهد الوطني للتّراث

وأستاذ بقسم الانثروبولوجيا بالمعهد العالي للفنون والحرف بتطاوين، تونس

Abstract: As a result of consecrating the direction towards the qibla, the orientation towards it is necessary in every place of worship and worship-related activities such as prayer, supplication, sacrifice, etc. This necessitated teaching it in mosques and other Islamic religious places. However, due to geographical distance from Mecca as a result of conquests, identifying the qibla right direction and teaching it became a dilemma since the middle of the first century. This led subsequent scholars to find solutions, resulting in the emergence of some architectural and jurisprudential phenomena, causing differences in interpretations among researchers. So, what are the concepts of mihrabs, when did they appear, what are the reasons for their direction deviations, and how did the successors deal with what the predecessors established?

Keywords: Mosque, *Qibla*, Wall, *mihrab*, Deviation, East, West, Direction, Orientation, Eastward, Westward.

مقدّمة

تميّزت المدن والقرى العربية بعد ظهور الإسلام، بالتّركيز الدّقيق على معلمي المسجد والجامع، إذ أصبحا المحورين عند اختطاط التّجمعات السّكانية والمدن في المشرق والمغرب الإسلاميين، كما هو الأمر في يثرب التي أعتبر فيها المسجد من بين أهمّ الأسس الّتي قامت عليها دولة المدينة،[1] يثرب وما ترمز إليه مع تعدّد أسمائها وقد عدّدها السّمهودي في الباب الأوّل من كتابه "وفاء الوفا،"[2] ثمّ إنتشر بناء المدن–المعسكر إثر الفتوحات كالبصرة والكوفة بالعراق،[3] ثمّ الفسطاط بمصر،[4] والقيروان بإفريقيّة[5] وغيرها من الأمصار التي أسّسها الفاتحون إلى أن بلغوا الأندلس مغربا[6] وفي كلّ هذه النّماذج كانت الأسوة دائما بما فعله الرّسول (ص) عند هجرته إلى يثرب، فأوّل ما قام به هو بناء المسجد،[7] وكذلك بالنّسبة المدن الأميريّة أيضا كمدينة

---

[1] السّيّد عبد العزيز سالم، **تاريخ الدّولة العربية** (الإسكندرية: مؤسّسة شباب الجامعة، دون تاريخ)، 75.

[2] السّمهودي، **وفاء الوفا**، تحقيق وتعليق محمّد محي الدّين عبد الحميد، الجزء الأول (بيروت: د.ن، 2001)، 61–92.

[3] هشام جعيّط، **الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية** (بيروت: دار الطليعة، 1986).

[4] سالم، **تاريخ**، 258.

[5] أحمد اليعقوبي، **كتاب البلدان** (ليدن: بريل، 1893)، 356.

[6] السّيّد عبد العزيز سالم، **المساجد والقصور في الأندلس**، (الإسكندريّة: مؤسّسة شباب الجامعة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1986).

[7] سالم، **تاريخ**، 75–81.

رقّادة.[8] ولكنّ الإشكال لم يكن في بناء المعلم في حدّ ذاته، إذ أنّ اختطاط المنشآت من دور وقلاع وحصون وقصور وبلدات ومدن هي ظاهرة سابقة للفترة الوسيطة،[9] كما تعدّدت المساجد مع وجود مسجد آخر وهو مسجد قِباء الّذي أُسّس على التّقوى،[10] بل ظلّ المشكل المؤرّق لأهل الرأي والبنّائين هو تحديد اتّجاه القبلة قبل الشّروع في البناء، خاصّة عندما انتشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية والابتعاد مجاليّا، فالمسافة لم تعد لتسمح للمهندسين بالاجتهاد قياسا بل بالاجتهاد فلكيّا، وعند ذلك يصبح الاتّجاه معضلة أساسيّة[11] ترقى بالبحث في نيل اتّجاه القبلة أحيانا بطرق ما ورائيّة[12] لصعوبة استحضار الاتّجاه الصّحيح النّاجم عن القياس لبعد المسافة الفاصلة بين الموقع والقبلة–المركز، مكة.

نظرا لأهميّة الاتّجاه في المساجد والجوامع لما يحظى به جدار القبلة من جدليّة بين ما نصّ عليه الدّين وما ترجمه المعمار[13] وما اشتمل عليه محراب محافظ على المحوريّة والتّناظر داخل بيت الصّلاة، بالإضافة إلى المنبر الذي عَهد به النبي (ص) إلى كلاب مولى العبّاس بن عبد المطّلب،[14] وما يكسب الإمام من هالة لدى مأموميه، والأهميّة الرّوحيّة لما يشعر به المصلّي بالصّفّ الأوّل بأسكوب المحراب[15] فقد حضي لاحقا بعناية فائقة في شكل البناء وما يحتوي عليه من قباب وزخارف تتعدّى أحيانا نقاط تواجد الإمام به إلى كافة أسكوب المحراب وكامل بلاطته ليشهد بعد ذلك إضافة المآذن، حيث لم تكن أصليّة في تخطيط المساجد،[16] ومع ذلك يبقى التّحديد الصّحيح لاتّجاه الجدار دائما خاضعا للاجتهاد القابل للخطإ أحيانا، رغم التحرّي الشّديد لما يمثّله التّحديد الصّحيح للاتّجاه من صحّة في أداء الفرائض التي يوجبها المعتقد، من صلاة وذبح ودعاء ودفن وغيره، ويتعدّى ذلك إلى الدّور وكلّ الأفعال التي يستوجب فعلها تجاه القبلة وكلّ الأفعال التي تستوجب الانحراف عنها، مثل اتّجاه الجلوس ببيوت الاستحمام بالدّور. لقد تمّ التّركيز أساسا على الصّلاة لذلك برز علم الميقات والّذي تطوّر في تحديد الفترات الزّمنيّة المسموح بها شرعا للصّلوات

---

[8] أسماء عمارة، ''قراءة في مفهوم ''المدينة الأميريّة'' في إفريقية من خلال نموذج رقادة،'' **حوليّات إسلامية** 53 (2019).

[9] ظهرت عديد المدن قبل ظهور الإسلام وتمثّلت في مدن استلهمت تخاطيطها من التّجارب القديمة مراعية المجالات المتموقعة فيها فظهرت المدن القديمة بتخاطيط متنوعّة.

[10] سالم، **تاريخ**، 74.

[11] لنا في إختيار موقع مدينة القيروان خير مثال على ذلك وما صاحب تحديد القبلة من العراقيل والإنسداد في أفق الرّؤى، جعلت عقبة بن نافع يضطرّ إلى الدّعاء.

[12] لنوم من قبل عقبة لتحديد قبلة الجامع وتعليمها منذ أواسط القرن الأول الهجريّ/السّابع الميلادي.

[13] المبروك المنصوري، **جدل الدّين الإسلاميّ والعمران المغربيّ** (تونس: الدّار المتوسّطيّة للنّشر، 2011).

[14] عهد إليه من قبل النّبيّ (ص) بأن يعمل منبرا من درجين ومقعدا وقيل من ثلاث درجات فوضعه في موضع القبلة. أنظر أيضا: ابن سعّد، **الطّبقات الكبرى**، الجزء الأول (بيروت: دار صادر، 1968)، 251.

[15] يرد في الحديث النّبوي ''لو يعلم النّاس ما في النّداء والصّفّ الأوّل، ثمّ لم يجدوا إلاّ أن يستهموا عليه لاستهموا،'' (متّفق عليه). وهنا أهميّة وأفضليّة الصّلاة بالصّفّ الأوّل وهي دعوة النّاس إلى التّموقع في المكان من الجامع إيمانيّا وعقديّا.

[16] السّيّد عبد العزيز سالم، **المآذن المصريّة** (الإسكندرية: مؤسّسة شباب الجامعة، 1959).

المكتوبة والتي يقع تحديدها بمواضع ظاهريّة للشّمس مع ضبط طول الظّل وتغيّره مع الفصول[17] ولئن استطاعوا تجاوز ذلك فقد بقي مشكل تحديد إتّجاه القبلة هو المؤرّق.[18]

I. جذور المحراب ومعانيه

أهميّة المحراب وجذوره

لم يكن الاهتمام بالمحراب من قبل الدّارسين المعاصرين من العرب ومن المستشرقين أمرا مستحدثا، بل يعود إلى القرن الماضي حيث شهدت باريس انعقاد ندوة دوليّة حول موضوع: ''**المحراب في العمارة والدّين الإسلاميّ**'' وركزت جميع الدراسات المعروضة بهذه المناسبة على المحراب وتناولته من عديد الرّؤى والزّوايا من حيث أنّه يمثّل عنصرا معماريّا ورمزيّا وفنّيّا.[19] وتناولت هذه المقالات أيضا المشكل الّذي يحيل إليه المحراب[20] وكذلك في مكوّن المحراب[21] وركزت أيضا على المحراب ومعناه المرجّح والمحتمل[22] وأوّل المحاريب في الجوامع الإسلاميّة[23] وما تعنيه الكلمة لدى المعجميّين العرب[24] وعلامته ودلالته.[25]

من مزايا المحراب بالمسجد إدراك اتّجاه القبلة ولكنّ كلمة المحراب في المسجد لم تكن موجودة على عهد النبيّ (ص) ولا أيضا في زمن القرن الأوّل وإنّما ظهر في القرن الثّاني الهجريّ وتتابع المسلمون على بنائه في مساجدهم لما فيه من المصلحة، كدلالة الدّاخل لجهة القبلة والاستغلال الوظيفي للإمام بربح صفّ أوّل وللتّدقيق في مفهوم المحراب وجبت العودة إليه في الشّرائع السّابقة، إذ ورد أربع مرّات في القرآن، نجد لما بشّرت الملائكة النّبيّ سليمان بيحيى في سورة آل عمران، ''فنادته الملائكة وهو قائم يصلّي في المحراب أنّ

---

[17] دونالد ر. هيل، **العلوم والهندسة في الحضارة الإسلاميّة**، ترجمة أحمد فؤاد باشا (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2004)، 62-64.

[18] هيل، **العلوم والهندسة**، 64-67.

[19] Alexandre Papadopoulo (ed.), *Le Mihrab dans l'architecture et les religions musulmanes*, Actes du colloque internationale tenu à Paris en mai 1980 (Leiden: E. J.-Brill, 1988).

[20] Alexandre Papadopoulo, "Le problème du mihrab, histoire de l'art, théologie, esthétique, approches méthodologiques," in *Le Mihrab dans l'architecture et les religions musulmanes*, Actes du colloque internationale tenu à Paris en mai 1980 (Leiden: E. J.-Brill, 1988), 43-8.

[21] Hamsa Boubakeur, "Le Mihrab," in *Le Mihrab dans l'architecture et les religions musulmanes*, Actes du colloque internationale tenu à Paris en mai 1980 (Leiden: E. J.-Brill, 1988), 49-52.

[22] Lucien Golvin, "Le Mihrab et son éventuelle signification," in *Le Mihrab dans l'architecture et les religions musulmanes*, Actes du colloque internationale tenu à Paris en mai 1980 (Leiden: E. J.-Brill, 1988), 53-5.

[23] Afif Bahnassi, "Le premier Mihrab dans la mosquée islamique," in *Le Mihrab dans l'architecture et les religions musulmanes*, Actes du colloque internationale tenu à Paris en mai 1980 (Leiden: E. J.-Brill, 1988), 56-9.

[24] Gérard Troupeau, "Le mot Mihrab chez las lexicographes arabes," in *Le Mihrab dans l'architecture et les religions musulmanes*, Actes du colloque internationale tenu à Paris en mai 1980 (Leiden: E. J.-Brill, 1988), 60-1.

[25] Abdelaziz Douletli, "Le Mihrab: Signe et symbole," in *Le Mihrab dans l'architecture et les religions musulmanes*, Actes du colloque internationale tenu à Paris en mai 1980 (Leiden: E. J.-Brill, 1988), 62-3.

الله يبشّرك بيحيى مصدّقا بكلمة من الله...،''[26] وكذلك عند اختبار النّبيّ داود في سورة ص، ''وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ.''[27]. والمحراب حيث تتعبّد مريم، ''فتقبّلها ربّها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكرياء كلّما دخل عليها زكرياء المحراب.''[28] وهنا لابدّ من فهم مدلول المِحراب، الغُرفة، وفسِّرَ به قوله تعالى في سورة مريم ''فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِن الْمِحْراب فأوحى إليهم أن سبّحوا بكرة وعشيّا.''[29]

معاني كلمة محراب

بالتّأمل في الأفعال التي وردت مقترنة مع ذكر لفظ محراب في الآيات القرآنيّة في قصص الأنبياء الّذين بعثوا إلى بني إسرائيل والمسيحيّين، نلاحظ أفعال: **دخل** عليها و**خرج** من بمعنى الغرفة و**يصلّي في**... و**تسوّروا**... وهذه الأفعال تنمّ عن أنّ المحراب بناية وعادة ما يتّخذ في علوّ لخلوة المتعبّد مع مفاد الآيات بأنّ من في المحراب يختلف عمّن خارجه، فيكون مؤمنا أو لديه خاصّية عمّن هو خارجه أو أنّه سيتلقّى بشارة. جاء لفظ المِحْرَابُ بمعنى القَصْر ومِحْرَابُ الْمَسْجِدِ بمعنى مَقَّامُ المتعبّد ويرد معه فعل ''صَعِدَ'' الخَطِيبُ المِحْرَابَ.[30]

الفعل كما ورد في الآية	الفعل	السّورة
يصلّي في المحراب	صلّى	آل عمران، الآية 39
تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ	تسوّر	ص، الآية 21
دخل عليها زكرياء المحراب	دخل	آل عمران، الآية 37
فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِن الْمِحْراب	خرج	مريم، الآية 11

الأفعال المقترنة بالمحراب في القرآن

كما يعني من منظور فقهيّ تلك الحنيّة أو الفجوة في جدار القبلة، حيث يقف الإمام عند الصّلاة. سئل علماء اللّجنة الدّائمة عن المحراب في المسجد، هل كان على عهد رسول الله (ص)؟ فأجابوا:

[26] **سورة آل عمران**، الآية 39.

[27] **سورة ص**، الآية 21.

[28] **سورة آل عمران**، الآية 37.

[29] **سورة مريم**، الآية 11.

[30] وكأنّ المقصود هنا بالصّعود هو المنبر.

''لم يزل المسلمون يعملون المحاريب في المساجد في القرون المفضّلة وما بعدها، لما في ذلک من المصلحة العامّة للمسلمين، ومن ذلک بيان القبلة، وإيضاح أنّ المكان مسجد.''[31]

أفلا تعني كلمة محراب مكان التّعبّد بأصنافه عبر القرون من محراب مبنيّ يدخل إليه المتعبّد (يصلّي) ويخرج منه في شكل بناية (نادته الملائكة) أو السّكن فيه (دخل عليها... وجد عندها) أو تجويفة في الجدار (تسوّروا) أو الغار المنحوت طبيعيّا في الجبل (غار حراء مثلا) وقد شكک هشام جعيّط في ذلک،[32] ثم التّجويفة في جدار القبلة بالمساجد والجوامع المبنيّة ويعني الغار عند العزّابة في المذهب الاباضيّ؟ وتحيل الأفعال الواردة بالقرآن بأنّ المحراب بناء وهو عمارة قائمة فورد لفظ قائما وفي سورة آل عمران، عند نبإ الخصم وقع التسوّر له، فهو بناء في سورة ص، كما يقع الدّخول إليه في سورة آل عمران، والخروج منه في سورة مريم.

II. تغيير القبلة

الأحداث المتّصلة بتغيير القبلة

القبلة هي المحدّد الرّئيس للمنشآت الدّينيّة الإسلاميّة، وكذلک الدّور في المناطق التي تتّفق فيها القبلة مع شروق الشّمس حيث تأتي المداخل والنّوافذ من هذه الناحية الشرقيّة ونعني المنشآت غرب مكة (بكة)، ''إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للّذي ببكة مباركا وهدًى للعالمين.''[33] والّتي أصبحت في السّنة الثّانية للهجرة قبلة توجّب التّوجه إليها من قبل كافّة المسلمين بعد بيت المقدس بأفعال في صيغة الأمر،[34] إذ لم يكن الإتّجاه محدّدا بصفة صارمة، بل حرّية في الإختيار ''ولله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثمّ وجه الله إنّ الله واسع عليم،''[35] وقبل وقعة بدر بشهرين نزلت الآية ''قد نرى تقلّب وجهک في السّماء فلنولّينّک قبلة ترضاها، فولّ وجهک شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شَطره...''[36] لتضبط القبلة النّهائيّة

---

[31] محمد فارس، ''**أشكال التّديّن في نماذج السّير الإباضية ببلاد المغرب حتّى القرن الهجري العاشر/16 ميلادي**،'' (أطروحة دكتورا في اللّغة والآداب والحضارة العربيّة، كلّيّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس، 2022)، 173.

[32] تبقى مسألة الغار برواية أحاديّة عند هشام جعيّط فكتب السّير النّبويّة لم تذكر ذلک وإنفرد بذكرها ابن هشام في سيرته، وهي بذلک مختلقة عن سائر بقيّة السّير، مبيّنا انطلاقا من الاعتماد على النّصّ القرآني بأنّ جبريل لما جاء رآه النّبيّ بالأفق المبين في **سورة التّكوير** الآية 23 ''**ولقد رآه بالأفق المبين.**'' موضع يشبه شروق الشّمس في حين ترد في **سورة النّجم الآيات** من 6 الى 8. على أساس موضع عمودي وهو بالأفق الأعلى (6) ثمّ دنا فتدلّى (7) فكان قاب قوسين أو أدنى(8) وبالتّالي لا يمكن لمن كان داخل الغار أن يرى الشّيء أفقيّا وعموديّا، أنظر: هشام جعيّط، **في السّيرة النّبويّة: الوحي والقرآن والنّبوّة** (بيروت: دار الطّليعة، 2000)، 33-46.

[33] **سورة آل عمران**، الآية 96.

[34] منذ هجرة الرّسول إلى يثرب، ولّى المسلمون وجوههم شطر بيت المقدس طوال ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا في قول آخر لتتحوّل إلى بيت الله الحرام.

[35] **سورة البقرة**، الآية 115.

[36] **سورة البقرة**، الآية 144.

للمسلمين على رأس شعبان 18 شهرا من الهجرة[37] الّتي انطلقت في 4 ربيع الأوّل[38] وقيل في 12 من نفس الشهر،[39] وبذلك تغيّر إتّجاهها بالكامل من الشّمال إلى الجنوب[40] فتمّ إضافة ظلّة جديدة ثانية بالجانب القبليّ للمسجد وبقيت الظّلة الأولى الشّمالية القديمة بيتا لأهل الصّفة.[41]

شهد صرف القبلة وتعليمها تطوّرا ملحوظا زمن الرّسول وكان الأمر موكولا إليه وقتذاك،[42] وبوفاته وانطلاق الفتوحات مشرّقة ومغرّبة، وجد قادة الحملات أنفسهم مجبرين على التّعامل مع تحديد اتّجاه القبلة، وهو أمر ذا أهميّة شغلتهم منذ البداية، وهو ما أشارت إليه النّصوص المكتوبة وما برهنت عليه الآثار الّتي تعود إلى القرون الاسلامية الأولى وحداثة تموقعها في المجالات البعيدة،[43] أعطتنا هذه العمارة تحديدات مختلفة وما حوته من إنحرافات وتصحيحات، حاكت ما حدث في المسجد النّبويّ، من تحديد وتغيير مع المحافظة أحيانا على الخطإ إلى جانب التّصحيح كانحرافات جدر القبلة بالمغرب الإسلاميّ وقد وسم الانحرافُ جلّ الجوامع بإفريقيّة في الحقبة الوسيطة والحديثة بدرجات انحراف متباعدة بين 31 بجامع عقبة و77 بجامع بوفتاتة بسوسة[44] وكذلك بالمشرق وتعدّد المحاريب بالمسجد الواحد والمحافظة عليهما أسوة بالمحافظة على الظُّلتين بالمسجد النّبويّ فسمّى بمسجد القبلتين.[45]

دور الجغرافيا والفلك في تحديد القبلة

لئن ارتبط تحديد القبلة وصرفها بداية، بشخص الرّسول (ص) عن طريق الوحي، مع كون تحديد اتّجاهاتها في نفس المجال تقريبا في ظرف زمنيّ متقارب جدّا،[46] فإنّ تحديدها بعد ذلك أصبح متباعدا مجاليّا

---

[37] سالم، **تاريخ**، 112.

[38] ابن سعّد، **الطبقات الكبرى**، الجزء الأول، 229.

[39] وهو تاريخ وصول النبي (ص) يثرب وعندما أراد عمر بن الخطّاب اعتماد تأريخ لكتبه واختلاف المسلمين حول التّاريخ المركز وقع اعتماد سنة الهجرة مع الرّجوع إلى أوّل شهر في السّنة، أبو جعفر الطّبريّ، **تاريخ الأمم والملوك**، المجلّد الثاني (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1991)، 3-6.

[40] **سورة البقرة**، الآية 144، كما وقع الأمر أيضا بالتوجّه إلى بيت الله الحرام في نفس السّورة، **البقرة**، الآيتان 149 و150.

[41] ابن سعّد، **الطّبقات الكبرى**، الجزء الأول، 255؛ السّمهودي، **وفاء الوفا**، الجزء الأول، 258. وهم من الفقراء من صحابة النّبي لا منازل لهم ولا من يؤويهم، فكانوا ينامون في المسجد ويظلّون فيه، فكان البعض منهم يتناول العشاء مع النّبي (ص) ويوزّع الآخرين على الصّحابة، السّيّد عبد العزيز سالم، **تاريخ الدّولة العربيّة** (الإسكندرية: مؤسّسة شباب الجامعة، 1997)، 78.

[42] أمكن للنّبي (ص) الجمع لما كان بمكة بين مكة وبيت المقدس ولكن بعد الهجرة تعذّر عليه ذلك فبقيت القبلة إلى بيت المقدس حتّى تمّ ضبطها، في الآية 144 والآية 149 والآية 150 من **سورة البقرة**؛ ابن كثير، **البداية والنّهاية**، الجزء الثاني (القاهرة: 1932)، 374، نقلا عن ابن عبّاس.

[43] جاءت كلّ المساجد بالمغرب الإسلامي بما في ذلك جامع عقبة بالقيروان وكذلك المصلّيات منحرفة جنوبا بدرجات مختلفة بإختلاف الإجتهادات في التّحديد.

[44] أحمد الباهي، ''تغريب قبلة جامع قفصة خلال العهد الزّيري من خلال كتب علم الميقات،'' ضمن **من قبصة الى قفصة، التّاريخ والتّراث والتّنمية، فعاليات** الندوة العلمية الدولية الأولى، قفصة 5، 6، 7 ماي 2022، جمع النصوص وأعدها للنشر مسطاري بوكثير (تونس: جامعة قفصة، المعهد العالي للعلوم الاجتماعية والتربية، 2023)، 49-66.

[45] ابن سعّد، **الطّبقات الكبرى**، الجزء الأول، 242؛ السّمهودي، **وفاء الوفا**، الجزء الأول، 258.

[46] انحسر تحويل القبلة في المجال زمن الرّسول وهو يثرب وانحسرت المدّة الزّمنيّة في السّنة الثّانية للهجرة وهنا لا يمكن طرح مشكل الاتّجاه فالتّغيير للقبلة في نفس المكان وهو المسجد النّبوي وكذلك المدّة الزّمنية السّنة الثّانية للهجرة، سنة تحويل القبلة.

وزمنيّا وهو ما يمكننا من أن نجد ''التّبرير'' للانحرافات المتواصلة لقرون والمحافظة على شواهدها إثر تصحيحها، وهو ما دلّت عليه اتّجاهات المصلّيات والمحاريب بالمساجد بإفريقيّة خاصة لدى فرق الاباضيّة منذ القرن الخامس الهجريّ ليتواصل بنفس الاتّجاه عبر كامل الفترة الحديثة بل وجزء من الفترة المعاصرة بالمنشآت الدّينيّة بجنوب شرقيّ إفريقيّة إلى جبل نفوسة.[47] لم يكن المعطى المذهبيّ هو المحدّد للاتّجاهات للقبلة هو بقدر بل المعطى العقديّ الأشمل وهو القبلة (مكة)، هو المحدّد ومن ثمّة يبقى البحث في التّحديدات المتنوّعة اعتمادا على التقدير المعرفي بالتّحديد جغرافيّا وفلكيّا، ولِمَ لا عند العجز يكون بالإلتجاء إلى الماورائيّ.[48]

اهتمّت المصادر بتركيز عقبة على اختيار الموضع للجامع وليس تحديد القبلة،[49] فيجيز لنا التّأكيد بأنّ اختيار الموضع سابق لتحديد القبلة اختطاطا، ولكن لا يفوتنا بأنّ عمليّة تحديد الموضع والشّروع في التّشييد تستوجب مدّة زمنيّة تطول بحسب نوعيّة وأهميّة المعلم مع عدد المشتغلين بالتّشييد، ولكن الصّلاة واجبة وإن لم يكن الجامع جاهزا، فلابدّ من ضبط الاتّجاه إلى القبلة وتحديدها سابق لتحديد الموضع مع التّصوّر المسبق للمعلم في الآن نفسه، ومن ثمّة فإنّ حيرة عقبة بن نافع الفهري ليست إلاّ حيرة تصوّر تنفيذ التّخطيط في المجال، وإلاّ كيف نفهم هذه الحيرة الّتي ارتبطت بإختطاط الجامع دون سواه من الدّور؟ علما وأنّ المكان مهجورٌ ولا يمكن أن يكون مستوى المعضلة في مستوى تحديد المجال بقدر ما يستوجبه التّطبيق على أرض الواقع وما يستدعيه من تحديد للقبلة.

بالوقوف عند مقوّمات اختيار القبلة، يحضر في الذّهن، ما تواتر لدى السّكان بإفريقيّة بأنّ القبلة ''يمين شروق الشّمس،'' ولكنّ الإشكال هنا، في أيّ فصل؟ علما وأنّ الشّروق يختلف موضعه بعدد أيّام ستّة أشهر انزياح ذهابا ليتكرّر العدد إيّابا بين مدار الجدي جنوبا ومدار السّرطان شمالا، وهنا لابدّ من البحث عن الموضع الصّحيح في يمين موضع شروق الشّمس ضمن المنازل المقدّرة لمواضع شروق الشّمس 183/182 في السّنة المدنيّة أو 183/183 في السّنة الكبيسة موضعا حقيقيّا لها في الانزياح باتّجاه الشّمال عند الذّهاب وما يتطابق معها بنفس العدد عند الإيّاب مع مراعاة الاختلاف الحقيقيّ لكلّ ستّ ساعات لكلّ سنة مدنيّة، كي يعود الشّروق إلى نفس الموضع بعد أربع سنوات. هنا لابدّ من مراعاة رسم مقدار الزّاوية 90 المرسوم كلّ يوم عند الانزياح شمالا نحو مدار السّرطان وعند الرجوع في اتجاه مدار الجدي فيكون

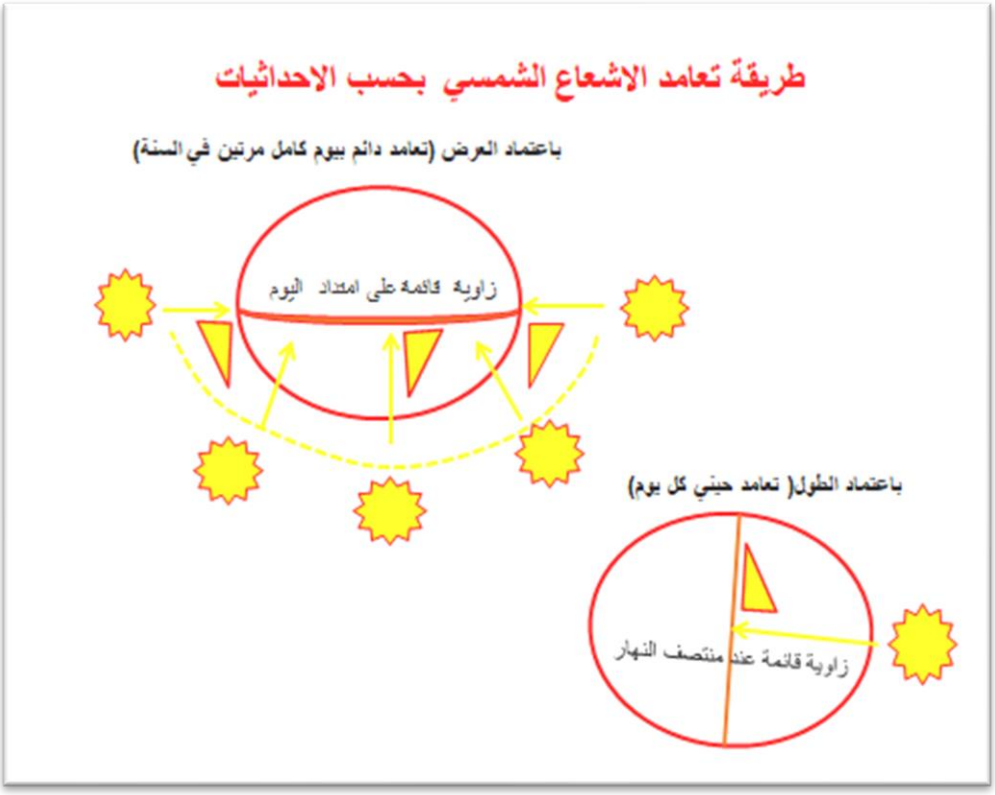
---

[47] كتب السّير الاباضية منذ القرن الرّابع إلى القرن العاشر الهجري مصدر مهمّ للتّعرف على عدد من المصلّيات وكذلك المحاريب بجبل دمّر وجبل نفوسة وجربة وبلاد الجريد والحرافات القبلة.

[48] تورد المصادر بأنّ عقبة واجه معضلة تحديد اتّجاه القبلة بأوّل جامع بأرض إفريقيّة فيكون القدوة لسائر المساجد من بعده. فكان الاعتماد على مطالع النّجوم ومشارق الشّمس حتّى تمّ لهم تحديد اتّجاه القبلة. بعد تلك الحالة من الغمّ فكان الإلتجاء إلى الرّؤية المنامية وكذلك الدّعاء على الوحوش والحيّات، ثمّ تمّ بناءه واقتدت به سائر مساجد القيروان وغيرها.

[49] **مجهول، مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية (الرباط: دار أبي رقراق للطّباعة والنّشر، 2005)، 74-76؛ أبو العبّاس البلاذري، **فتوح البلدان**، تحقيق عبد الله أنيس الطّبّاع وعمر أنيس الطّبّاع (بيروت: دار النّشر للجامعيّين، 1957)، 322.

التّعامد فيما بين المدارين يومان في السّنة مع تسجيل اعتماد وحيد يوم 21 جوان على مدار السّرطان وآخر يوم 21 ديسمبر على مدار الجدي وعلى العكس فإنّ التّعامد يكون للحظات على جزء من كلّ خطوط الطّول في كلّ يوم دائما نظرا لميلان محور الأرض فتكون الدّائرة المرسومة للزّاوية 90 في اتّجاهها العام مع خطوط العرض ولكنّها تبقى مائلة عنها بدرجة ميلان محور الأرض (الوثيقة رقم 1).



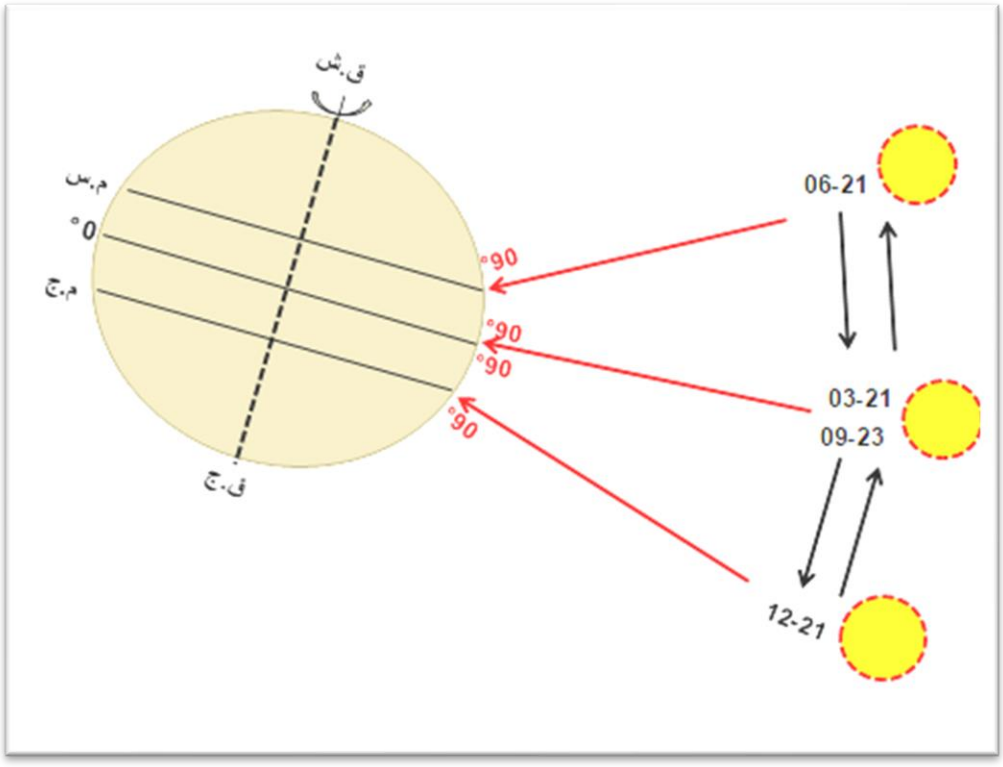
الوثيقة رقم 1: تعامد الأشعّة الشّمسيّة طولا وعرضا. (إنجاز الباحث).

إنّ التّركيز على ''يمين شروق الشّمس'' في تحديد إتّجاه القبلة يمكننا من معرفة أي فصل من فصول السّنة تمّ فيه الفتح وتحديد القبلة بإفريقيّة على عكس توافق قبلة جامع القيروان مع شروق الشّمس في الشتاء،[50] مع إمكانيّة إحتساب المدّة الزّمنيّة للإنتقال من الجزيرة العربية إلى إفريقيّة وبالتّالي معرفة تأريخ إتّخاذ القرار بالمركز ولو بصفة تقريبيّة.

بالرّجوع إلى مواضع شروق الشّمس خلال كامل أيّام السّنة ومقارنته باتّجاهات القبلة المنفّذة بكافّة المصلّيات والمساجد والجوامع بإفريقية، يُستنتج بأنّ تحديد القبلة لا يمكن أن يكون في فصل الصّيف وإلا

[50] الباهي، ''تغريب قبلة،'' 57.

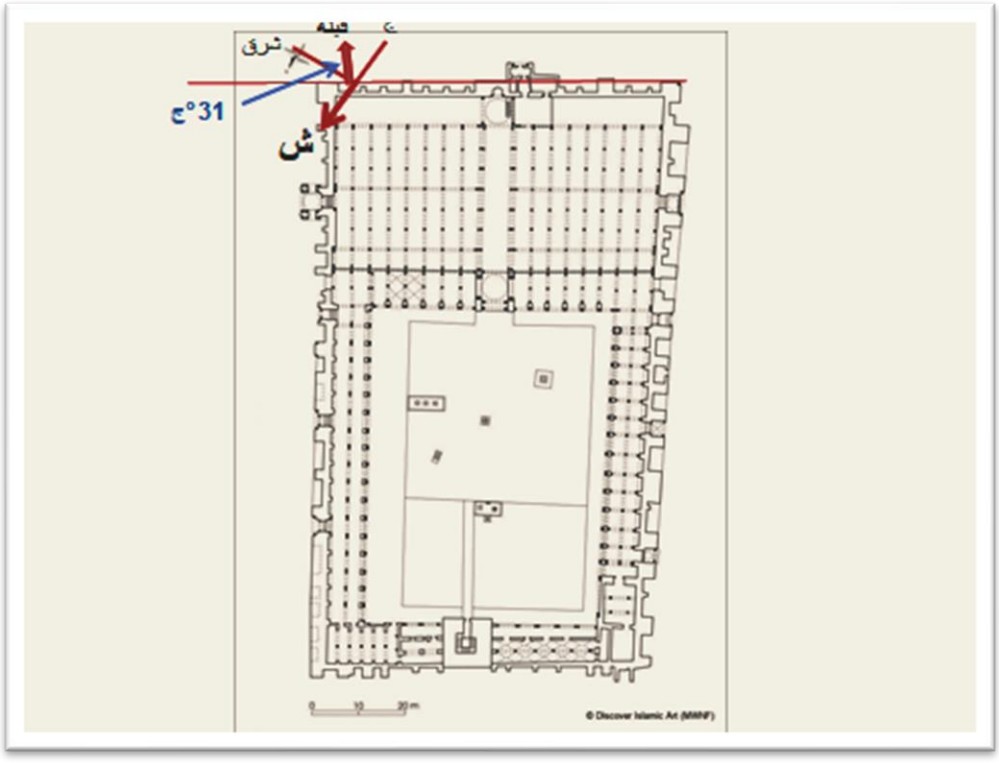
صحّ تحديد الاتّجاه وإذا كان التّحديد في الإعتدالين فيكون يمين الشّروق منحرفا بدرجات قلائل فقط أقلّ من 15 جنوبا، أمّا إذا اعتمد هذا المبدأ يمين موضع الشّروق في الشّتاء 21 ديسمبر، فإن التّحديد يكون متطرّفا يصل إلى أكثر من 30 جنوبا، وهو ما نرجّحه، إذ تنطلق الحملات بعد إنتهاء فصل الصّيف نحو إفريقيّة مع مدّة المسافة المستوجبة للفتح، ثمّ الوصول والحسم وأخذ القرار في الاستقرار أواخر فصل الخريف وبداية فصل الشّتاء، حين يقترب الشروق الشّمس من أقصى موضع جنوبا (الوثيقة رقم 2).



الوثيقة رقم 2: تعامد الأشعّة حسب الفصول (إنجاز الباحث).

مع تطبيق مبدا "يمين الشّروق،" تقترب القبلة من أقصى إنحراف لها وهو حالة تحديد القبلة المرجّحة من قبلنا في القيروان بإنحراف جاوز 30°جنوبا،[51] واعتمدت كمرجع لتحديدات القبلة فيما جاء بعدها (الوثيقة رقم 3)، بالرّغم من نفي بعض الأساتذة وجود محراب عقبة بالجدار الحالي وإعادة الجامع بما في ذلك جدار القبلة إلى العهد الأغلبيّ زمن زيادة الله.[52]

[51] Paul Sebag, *La grande mosquée de Kairouan* (Paris: Delpire, 1963), 19.
[52] Faouzi Mahfoud, "L'introduction du mihrab a l'Ifriqiya et son évolution jusqu'au XI[e] s.," *IBLA* 168 (1991): 263-79.



الوثيقة رقم 3: إنحراف القبلة بجامع عقبة–القيروان[53]

III. تعدّد المحاريب والمذاهب

تعدّد المحاريب

شهدت مجموعة من المساجد بإفريقيّة وجود المحرابين بجدار القبلة وهو أمر استدعى النّظر في اتّجاهها والغايات من تواجدها وكيفيّة تعامل الأهالي معها.

- محاريب بنفس الاتّجاه: تحوي بعض المساجد محرابين داخل بيت الصّلاة أو واحد بها والثّاني بالصّحن، وخاصّة إذا تقدّم الفضاءُ لبيت الصّلاة مثل الجامع المحفور بغمراسن[54] أو كذلك جامع الكرمة بالدّويرات وجامع الرّقود السّبعة بشنيّ حيث بني الجامع على واجهة ما بقي من الجامع المحفور وكلّها محفورة يتقدّمها الصّحن ضرورة، أو الإضافة الّتي حوت محرابا في نفس اتّجاه محراب بيت الصّلاة، أمّا إذا

[53] وقع أخذ التّخطيط من الرّابط \: https://share.google/images/TblJHscakC9ItiiXw (بتصرّف).

[54] علي التّابتي، "مجال جبل دمّر: أيّة حدود؟،" ضمن **الحدود والمناطق الحدوديّة ببلاد المغرب عبر التّاريخ**، فعاليات النّدوة العلمية الدولية الثانية، قفصة، 4، 5، 6 ماي 2023، جمع النصوص وأعدها للنشر موسى الطبابي وذاكر سيلة ومسطاري بوكثير (تونس، جامعة قفصة، المعهد العالي للعلوم الاجتماعية والتربية، 2024)، 217–250. كما نرجّح أنّ الجامع المحفور هو الجامع المعني بحديث التّجاني عند حديثه عن غمراسن في كتاب الرحلة أثناء إقامته بها خلال القرن التّاسع الهجريّ.

وجد المحرابان داخل بيت الصّلاة بنفس الاتّجاه فذلک ناجم على أنّ الجامع شهد توسعة جعلت من المحراب الأوّل بجدار القبلة ببيت الصّلاة منزويا بالجزء الأصليّ فيكون من البديهيّ المحافظة عليه بموضعه وإضافة محراب ثانٍ في اتّجاه الجهة المتوسّع على حسابها مثل جامع وَلْحي بجزيرة جربة والّذي نرى بأنّ إضافة المحراب الثّاني شمال الأوّل نتيجة توسعة شماليّة في إطار رسم التّناظر وليس تصحيحا لاتّجاه القبلة.

- محاريب حافظت على انحرافها: حافظ عدد من الجوامع على محراب واحد منحرف نحو الجنوب رغم الّتفطّن إلى ذلک مع انحراف الإمام داخل المحراب. ما يفيد بأنّ المحراب اكتسى قداسة فلا يمكن المساس به رغم الاقتناع بانحرافه فيتمّ التّصحيح للثّاني والإبقاء على الأوّل أو الإبقاء على الأوّل دون محراب ثانٍ شرط انحراف الإمام في اتجاه القبلة الصّحيحة.

- محاريب اختلفت اتجاهاتها: هذا ناجم عن توسعة شهدها الجامع وقد شملت بيت الصّلاة وكان التفطّن إلى انحراف اتّجاه المحراب الأوّل، فوقع إضافة المحراب الثّاني لرسم التّناظر في بيت الصّلاة مع التّصحيح للقبلة، باتّجاه يتزحزح نحو الشّرق (الوثيقة رقم 4).

محاريب صحّحت نتيجة فقدان الأولى: وردت كلّ المحاريب منحرفة نحو الجنوب بين 77° و31° و15°جنوبا جاء التفطّن في فترة متأخّرة وهي الحقبة المعاصرة (1943) فهي إمّا متطابقة واتّجاه القبلة تماما أو منحرفة قليلا نحو الشّمال في اختلاف تامّ بين الجدارين، جدار قبلة الجامع المحفور في الفترة الوسيطة أو الحديثة وجدار القبلة للجامع المبنيّ في الفترة المعاصرة باختلاف يقارب حوالي 80° وذلک لما شهده على سبيل المثال جامع سدرة بتطاوين من انهيار كامل لجهة القبلية بالجامع المحفور ولما انهار وقع بناء جامع على واجته مع الاقتناع بأنّ القبلة الأولى منحرفة جنوبا[55] فوقعت محاولة التّصحيح فجاءت منحرفة شمالا[56] بهذا الجامع (الوثيقة رقم 5).

---

[55] ما أفاد به محمّد بن محمّد التّابتي من مواليد 1916 قبل وفاته بأنّ المنطقة قد شهدت أمطارا في سنة الحرب العالميّة الثّانية بالجهة وقد ساهمت في انهيار واجهة الجامع المحفور بسدرة حيث وقع ردم فسقيّة الجامع شرقه وبناء الجامع الحالي على واجهة ما بقي من الجامع المحفور وترک منفذين إليه والخلوة التي فصلت بجدار مبني وخصّصت لتعليم الأطفال وقد أشرف والده على هذه الأشغال وهو معه.

[56] علي التّابتي، "**العمارة بجبل دِمّر في العهدين الوسيط والحديث**" (أطروحة دكتوراه في علوم التّراث، اختصاص آثار، كلّية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس 2016)، 363-368.

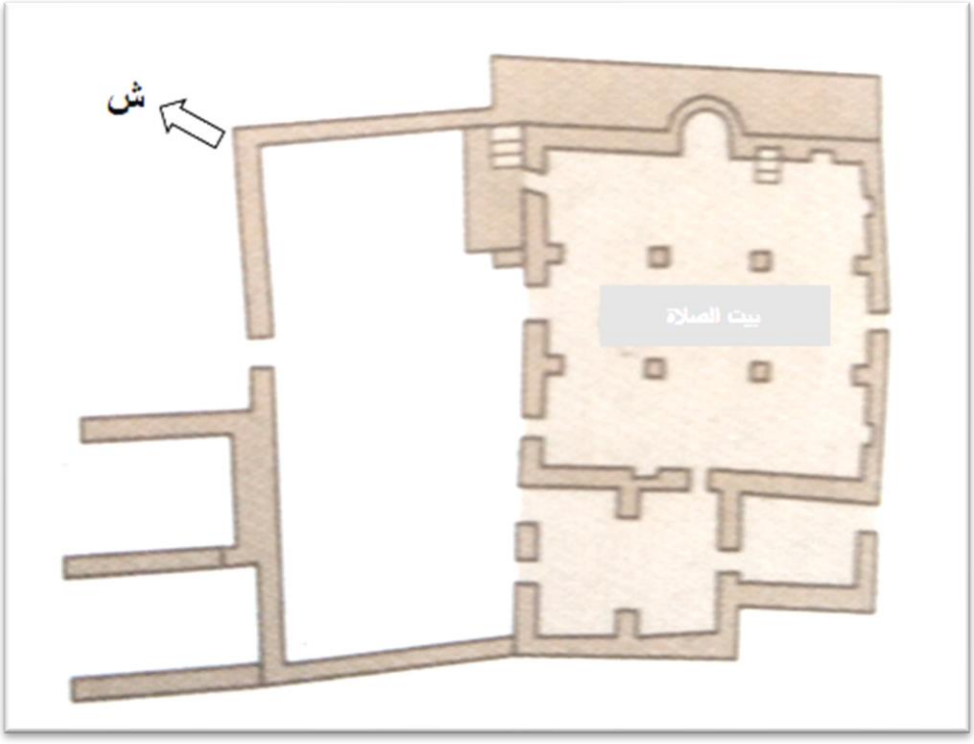


الوثيقة رقم 4: تصحيح محراب جامع علّولة – بني خداش



الوثيقة رقم 5: القبلة الأصل وقبلة التّصحيح – سدرة

وقياسا على ذلك عُلّمت القبلة بجامع بوزيري[57] منحرفة شمالا بدرجات قلائل (الوثيقة رقم 6).



الوثيقة رقم 6: قبلة مصحّحة في إتّجاه الشّمال – بوزيري[58]

يعدّ تعدّد المحاريب بنفس الاتّجاه تطوّرا لبيت الصّلاة وفي ذلك بحث على التناظر إثر توسعة لجهة واحدة بإضافة بلاطة إمّا من الشمال أو من الجنوب، فإن تمّت التّوسعة في اتّجاه الشّمال يكون تأخّر المحراب الشّماليّ زمنيّا وإن تمّت في اتّجاه الجنوب يكون المحراب الجنوبيّ هو الثّاني وفي ذلك مراعاة للمحوريّة في الجامع، أمّا إذا كانت التّوسعة في اتّجاه الغرب، فيقع الإبقاء على المحراب في موضعه بكافّة الجوامع أمّا إن تمّت التّوسعة في اتّجاه القبلة بتقديم أسكوب المحراب فإنّ المحراب الأقدم يُفتح في اتّجاه المحراب المحدث من جهة القبلة لتحافظ بعض الجوامع على المنبر بثلاث درجات في موضعها الأوّل وإضافة أخرى الى جانب المحراب الجديد قبلةً مثل جامع سرفين.[59]

---

[57] التّابتي، "**العمارة بجبل دِمّر**،" 404-406.

[58] Herbert Popp et Abdelfattah Kassah, *Les ksour du sud tunisien* (Bayreuth: Naturwissenschaftliche Gesellschaft Beyreuth, 2010), 91.

[59] التّابتي، "**العمارة بجبل دِمّر**،" 382-384.

نجد تعدّدا للمحاريب، ولكن باتّجاهات مختلفة، ففي المحراب الثّاني تصحيح لاتّجاه الأوّل ويكون الأوّل باتّجاه منحرف جنوبا والثّاني باتّجاه الشّرق حتى أنّ الوثائق العدليّة تميّز بين الاتّجاهين، قبلة وشرقا[60] كما تقع الاستعاضة عن محراب للتّصحيح بشرط أن يكون الانحراف لاتّجاه الإمام بالمحراب، أو إعادة البناء ومحاولة التّصحيح.

2. القبلة والمذاهب

ذهب عدد من الدّارسين في الآثار الإسلاميّة بأنّ المذهب يحرف القبلة وبالتّالي وما تعدّد المحاريب بالجامع الواحد إلّا دليل على تغيّر المذهب، إلّا أنّنا لا ندعم ذلك لعدم وجاهته وتعارضه مع الآتي:

– أليست القبلة عند المسلمين واحدة بالنّصّ القرآنيّ وهي مكة؟

– أليس انحراف المحاريب بجدار قبلتها كان سابقا للمذاهب في إفريقية كانحراف قبلة جامع عقبة بالقيروان؟

– ألا يكون تعدّد المحاريب بالجامع الواحد سوى سوء تقدير إتّجاه القبلة وعند الإنتباه إلى ذلك يقع التّصحيح فجامع مدينة إبراء بسلطنة عمان أحاديّ المذهب فلم يدخله مذهب مخالف للاباضيّ منذ تأسيسه إلى اليوم، ما يجعله جامعا لم يشهد أيّ تنوّع مذهبيّ مع ذلك فهو احتوائه محرابين، ما يؤكد انحراف الأوّل وتصحيح الثّاني وتعتبر إبراء عاصمة للإباضيّة فهي مسقط رأس أبي الشّعثاء اليحمديّ؟ كذلك جامع علّولة بخور دمّر ببني خداش حيث الإستعاضة عن المحراب الأوّل بثانٍ جنوبه أكثر وضوحا وإنارة، بجانب المدخل، (الوثيقة رقم 7).

– ألا يحي تعدّد المحاريب إلى الامتداد الزّمني للجامع والتّفطّن إلى عدم صحّة اتّجاه المحراب نحو القبلة أو عند التّوسعة بشكل عرْضي فيقع الالتجاء إلى بناء محراب ثان يكون في وسط جدار القبلة محافظة على التّناظر فتكون بلاطة المحراب هي الوسطى وذلك محاكاة للجوامع الرّسميّة؟

[60] تورد الوثائق العدليّة حدود الملكيّات بالاتّجاهات الأربع: الجوف وهو الشّمال وقبلة وهو الجنوب تقريبا ثمّ الشّرق والغرب.



الوثيقة رقم 7: الإنحراف والتّصحيح بالجامع المبني – كاباو

– ما مدلول المأثور بأن يُعلّم الجامع نهارا وتحدّد قبلته ليلا؟ وهنا لا تحدّد القبلة بشروق الشّمس بل بالكواكب الأخرى، بدليل أنّ القبلة الّتي تحدّد في الشّتاء تكون منحرفة نحو الجنوب حيث تتعدّي 31°، أمّا الّتي تحدّد في الصّيف فتتوافق مع القبلة الصّحيحة عادة والّتي تحدّد في الاعتدالين الربيعيّ والخريفيّ تكون منحرفة جنوبا بدرجات مختلفة باختلاف بداية الفصل ونهايته[61]؟

– عند انتشار المذهب الشّيعي والتّفطّن الى انحراف القبلة، فحاولوا تصحيحها شرقا فأصبح ذلك سُبّة لهم وشَهَّر بهم أهل السُّنة وأُطلقوا عليهم، المشرّقة والمشارقة والتّشريق وكأنّهم بذلك قد خرجوا عن الدّين؟ بل أُتّهم الشّيعة بأنّهم حَرَفوا القبلة الى المهديّة وهو ما لم يستبعده الأستاذ عمر بن حمّادي[62] فبقيت الاتّجاهات منحرفة جنوبا بدرجات متباعدة وفي نفس المعلم، على سبيل المثال ما أورده الأستاذ أحمد الباهي[63] حول جامع قفصة بين المحرابين الرّئيسيّ والثّانويّ بمقدار 33° كانحراف فارق، الأوّل منحرف بـ 53° عن القبلة

---

[61] علي الثابتي، "العمارة التّقليديّة بجنوب شرق البلاد التّونسيّة في العصر الوسيط ، نماذج من الجوامع الحفرية بجبل دمّر،" ضمن **القرى الجبليّة ببلاد المغرب: التّاريخ والتّراث والتّنمية** (تونس: 2014)، 196-242.

[62] عمر بن حمّادي، "حول نعت الدّعوة الفاطميّة بالتّشريق ونعت الدّاخلين فيها بالمشارقة،" **حوليّات الجامعة التّونسية** 39 (1995): 302.

[63] الباهي، "تغريب قبلة،" 49-66.

الصّحيحة والثّاني بـ20°.[64] لقد تناولت المؤلّفات المشرقية ذلک منذ القرن الثّاني الهجريّ ولم تظهر في المغرب إلاّ في أواسط القرن الرّابع الهجريّ[65] على الرّغم من أنّه بداية من نهاية القرن الثّالث الهجريّ/العاشر ميلاديّ، بدأت تظهر العديد من الآراء والفتاوى بإفريقيّة وبالأندلس حول الاتّجاه في الصّلاة وكيفيات التّصحيح.

لقد رأى علماء الأندلس بأنّ التّفطّن الى انحراف القبلة والتّصحيح أثناء الصّلاة بوقوف الإمام مشرّقا لا يجوز، وفي ذلک اقتداء بالسّلف ووقع التّخلّي عن تحويل القبلة،[66] فإنّ ذلک قد جوّزه بعض العلماء بإفريقيّة إذ رأوا بوجوب المحافظة على المحراب مع انحراف الإمام داخله،[67] ليواصل الاباضية نفس اتّجاه القبلة المنحرفة.

لقد أكدت المعطيات الأثريّة محافظة المذهب الاباضيّ على المحاريب الأولى المنحرفة في اتّجاه الجنوب مع التّصحيح الذي لم يرد إلّا متأخرا في الفترة المعاصرة وقد مكننا المحراب بالجامع المحفور بكاباو (جبل نفوسة) والّذي نؤرّخه إلى الفترة الوسيطة، القرن السادس الهجريّ انطلاقا من طريقة الإنشاء والزّخارف المرسومة بالحجر الجصّي المتطابق تماما مع ما ورد في جامع أوني[68] وقد جاء مسجد كاباو منحرفا نحو الجنوب بـ 45° مع وجود سجّاد للإمام بموضع يقسم الرّكن الجنوبيّ الشّرقيّ، ما يدلّ بأنّ التّفطّن إلى الانحراف جاء متأخّرا بدليل وجود الجامع المبنيّ في الفترة الحديثة[69] بجواره بنفس درجة مع اتّباع أسلوب التّصحيح لاتجاه القبلة بالرّكن الجنوبيّ الشرقيّ بإضافة ما يشبه الحنيّة قُدّت من الخشب بالرّكن ذاته (الوثيقة رقم 7)، وهذا يجعلنا نستنتج بأنّ الانحراف لم يقع التفطّن إليه إلاّ في فترة متأخّرة بالجامع المبنيّ فوقع الإصلاح بتهيئة الرّكن الجنوبي الشرقي بإضافة محراب وسحب هذا التّصحيح على المسجد المحفور ولكن وقع الاكتفاء بوضع سجّاد في الاتجاه الصّحيح (الوثيقة رقم 8).

---

[64] الباهي، "تغريب قبلة،" 60.

[65] الباهي، "تغريب قبلة،" 51.

[66] الباهي، "تغريب قبلة،" 61.

[67] بن حمّادي، "حول نعت الدّعوة الفاطميّة،" 285–304.

[68] بالتّمعّن في تهيئة جدار القبلة تفطنّا إلى أنّه بني عند تهيئة المحراب بواسطة الحجر الجبسيّ وهي تقنية تهيئة محراب جامع أوني المؤرّخ لسنة 549هـ. أنظر: علي الثّابتي، "خاصّيات القصر بالجنوب الشّرقي التّونسي،" ضمن **حول الجنوب الشرقي التونسي أيّ تحوّل وأية صيرورة؟**، أعدّها للنّشر المنجي بورفو (قرطاج: 2020)، 67–113.

[69] ورد الجامع المبنيّ بثلاثة أساكيب وثلاث بلاطات وقد حوى في باطن أقبيته نقائش تشبه نقائش الفترة الحديثة بجبل دمّر وقد وقعت تهيئة الركن الجنوبي الغربي لتصحيح إتّجاه القبلة بمحراب خشبيّ مضاف مع المحافظة على المحراب الأوّل بوسط جدار القبلة الأصليّ المنحرف جنوبا بـ 45°.



الوثيقة رقم 8: درجة الإنحراف بالجامع المحفور – كاباو

خاتمة

بالرّغم من أنّ عمليّة تحديد القبلة لا تكون إلاّ جماعيّة في المساجد وبناء المحاريب، فإنّها تبقى فرديّة في تحديدها عند صلاة الفذّ، في المنازل والدّور والمصلّيات، وبرغم أهمية التّحديد الصّحيح فإنّ الأخطاء واردة في توجّيهها في الأماكن القصيّة الّتي بعدت مشرقا ومغربا عن مركز القبلة الثّاني، مكة، وهو ما يبرّر ارتفاع درجات الانحراف نحو الجنوب مغربا ومن المفروض انحرافها شمالا مشرقا، لكن لم تُطرح هذه المسألة بنفس الحدّة كما طرحت ببلاد المغرب والأندلس حيث الابتعاد الواضح مجاليا مع تعدّد المذاهب التي أسّست إمارات ودول ما جعل المواقف تختلف من اجتهاد فقهي إلى آخر مع المحافظة على المحراب في الاتّجاه الأوّل والاتّجاه المصحّح في الثّاني وهو ما جعل عديد الباحثين يهتمّون بهذا المشغل ويؤوّلون في الاتّجاهات للمحاريب وفي تعدّدها وربطها بالمذاهب وهو أمر يتنافى والنّصّ القرآنيّ وبالتّالي يتنافى والمعطى العقديّ الموحّد في القبلة (مكة) ومن ثمّة جاءت كلّ هذه الاتّجاهات وانحرافاتها نتيجة لسوء التّقدير الصّحيح لاتّجاه القبلة على الأقلّ في المساجد والجوامع الّتي لم تتعدّد فيها المذاهب والجوامع الّتي شهدت انحرافا باتجاه مغاير تماما، مع تواصل

تعميريّ بنفس المجموعة البشريّة وفي نفس المجال ما جعل التّغريب أصلا باتّجاهات مختلفة والتّشريق تصحيحا عند الشّيعة في الفترة الوسيطة ليعود التّصحيح لاحقا.

تبقى الانحرافات ناجمة عن البعد المكاني عن القبلة– المركز والبعد الزّماني مع من اعتقد بأنّ القبلة الأولى بإفريقيّة قد جاءت صحيحة فكانت أنموذجا منحرفا نحو الجنوب وعليه كان القياس منحرفا أيضا إضافة إلى ما وقع توارثه من مأثور ''القبلة يمين شروق الشّمس'' ما جعلنا نعتقد بأنّ التّحديدات كانت خريفا وشتاء وهذا يفيد بأنّ تظافر كلّا من المعطيات الجغرافيّة والفلكيّة والعقديّة والرؤى المناميّة والبعد المكانيّ ثم الزمانيّ قد نجم عنها جميعا قابليّة الانحراف من موضع يمين شروق الشّمس خريفا إلى تطرّفه شتاءً.

يبقى العمل على تحديد مواضع شروق الشّمس بالبوصلة في كل اتّجاه للقبلة بكلّ محراب وتطابق درجاته مع أيّ يوم من السّنة لمعرفة اليوم من الشّهر في إنشاء المسجد والجامع وبهما يحتذى في المقابر والذّبح وغيره.

البيبليوغرافيا

Al-Bāhī, ʾAḥmad. “Taghrīb qiblat jāmiʿ Qafṣa khilāl al-ʿahd al-Zīrī min khilāl kutub ʿilm al-Mīqāt.” In *Min Qabṣa ʾilā Qafṣa, al-tārīkh wa-turāth wa-tanmiya*, ed. Musṭārī Būkthīr, 49-66. Tūnus: Jāmiʿat Qafṣa, al-Maʿhad al-ʿālī li-l-ʿUlūm al-ʾIjtimāʿiyya wa-tarbiya, 2023.

Al-Balādhurī, ʾAbū-l-ʿAbbās. *Futūḥ al-Buldān*. Ed. ʿAbd ʾAllāh ʾAnīs al-Ṭabbāʿ wa ʿUmar ʾAnīs al-Ṭabbāʿ. Bayrūt: Dār al-nashr li-l-Jāmiʿīyyīn, 1957.

Al-Manṣūrī, al-Mabrūk. *Jadal al-dīn al-ʾIslāmī wa-l-ʿUmrān al-Maghribī*. Tūnus: al-Dār al-Mutawassiṭiyya, 2011.

Al-Qurʾān al-Karīm.

Al-Samhūdī. *Wafāʾ al-wafā*. Ed. Muḥammad Muḥyī al-dīn ʿAbd al-Ḥamīd. Bayrūt: 2001.

Al-Ṭabarī, ʾAbū Jaʿfar Muḥammad ʾIbn Jarīr. *Tārīkh al-ʾUmam wa-l-Mulūk*. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿilmiyya, 2001.

Al-Thābtī, ʿAlī. “Khāṣiyyāt al-Qaṣr bi-l-janūb al-Tūnusī.” In *Ḥawla al-janūb al-sharqī al-Tūnusī, ʾayyu taḥawwul wa-ʾayyat ṣayrūra?*, 67-113. Cartage: 2020.

_____. “al-ʿImāra bi-Jabal Dammur fī al-ʿahdayn al-waṣīṭ wa-l-ḥadīth.” Thèse de doctorat, Kulliyat al-ʿUlūm al-ʾInsāniyya wa-l-ijtimāʿiyya, Tūnus, 2016.

_____. “al-ʿImāra al-taqlīdiyya bi-janūb sharq al-bilād al-tūnusiyya fī al-ʿaṣr al-waṣīṭ, namādhij min al-jawāmiʿ al-ḥafriyya bi-Jabal Dammur.” In *al-Qurā al-jabaliyya bi-bilād al-Maghrib: al-tārīkh wa-turāth wa-tanmiya*, 196-242. Tūnus: 2014.

Al-Yaʿqūbī, ʾAḥmad. *Kitāb al-Buldān*. Leiden: E. J. Brill, 1893.

ʿAmārā, ʾAsmāʾ. “Qirāʾa fī mafhūm al-madīna al-ʾamīrīyya fī ʾIfrīqyā min khilāl namūdhaj Raqqāda.” *Ḥawliyyāt ʾIslāmiyya* 53 (2019).

Bahnassi, Afif. “Le premier Mihrab dans la mosquée islamique.” in *Le Mihrab dans l’architecture et les religions musulmanes*, Actes du colloque internationale tenu à Paris en mai 1980, 56-59. Leiden: E. J.-Brill, 1988.

Boubakeur, Hamsa. “Le Mihrab.” in *Le Mihrab dans l’architecture et les religions musulmanes*, Actes du colloque internationale tenu à Paris en mai 1980, 49-52. Leiden: E. J.-Brill, 1988.

Douletli, Abdelaziz. "Le mihrab: Signe et symbole." in *Le Mihrab dans l'architecture et les religions musulmanes*, Actes du colloque internationale tenu à Paris en mai 1980, 62-63. Leiden: E. J.-Brill, 1988.

Fāris, Muḥammad. ʾAshkāl al-tadayyun fī namādhij al-siyar al-ʾIbāḍiyya bi-bilād al-Maghrib ḥattā al-qarn al-hijrī X/XVI al-milādī." Thèse de doctorat, Kulliyat al-ʿUlūm al-ʾInsāniyya wa-l-ijtimāʿiyya, Tūnus, 2022.

Golvin, Lucien. "Le Mihrab et son éventuelle signification." in *Le Mihrab dans l'architecture et les religions musulmanes*, Actes du colloque internationale tenu à Paris en mai 1980, 53-55. Leiden: E. J.-Brill, 1988.

Hill, Donald Routledge. *Al-ʿUlūm wa-l-handasa fī al-ḥaẓāra al-ʾIslāmiyya*. Tarjamat ʾAḥmad Fuʾād Bāshā. Al-Kuwayt: al-Majlis al-Waṭanī li-thaqāfa wa-l-Funūn wa-l-ʾĀdāb, 2004.

ʾIbn Ḥammādī, ʿUmar. "Ḥawla naʿt al-daʿwa al-Faṭimiyya bi-tashrīq wa-naʿt al-dākhilīn fīhā bi-l-Mashāriqa." *Ḥawliyyāt al-Jāmiʿa al-Tūnusiyya* 39 (1995).

ʾIbn Kathīr. *Al-Bidāya wa-l-nihāya*. Al-Qāhira: 1932.

ʾIbn Saʿd. *Kitāb al-ṭabaqāt*. Bayrūt: Dār Ṣādir, 1968.

Jʿayyiṭ, Hishām. *Fī al-Sīra al-nabawiyya: al-waḥy wa-l-Qurʾān wa-nubuwwa*. Bayrūt: Dār al-Ṭalīʿa, 2000.

_____. *Al-Kūfa, nashaʾt al-madīna al-ʿArabiyya al-ʾIslāmiyya*. Bayrūt: Dār al-Ṭalīʿa, 1986.

Mahfoud, Faouzi. "L'introduction du mihrab a l'Ifriqiya et son évolution jusqu'au XI^{e} s." *IBLA* 168 (1991): 263-79.

Majhūl. *Mafākhir al-Barbar*. Ed. ʿAbd al-Qādir Būbāya. Al-Ribāṭ: Dār ʾAbī Raqrāq, 2005.

Muʾnis, Ḥusayn. *Al-Masājid*. Al-Kuwayt: al-Majlis al-Waṭanī li-thaqāfa wa-l-Funūn wa-l-ʾĀdāb, 1981.

Papadopoulo, Alexandre. "Le problème du mihrab, Histoire, Histoire de l'art, Théologie, Esthétique Approches méthodologiques." in *Le Mihrab dans l'architecture et les religions musulmanes*, Actes du colloque internationale tenu à Paris en mai 1980, 43-48. Leiden: E. J.-Brill, 1988.

Popp, Herbert et Abdelfattah Kassah. *Les ksour du sud tunisien*. Bayreuth: Naturwissenschaftliche Gesellschaft Beyreuth, 2010.

Sālim, al-Sayyid ʿAbd al-ʿAzīz. *Al-Masājid wa-l-Quṣūr fī al-ʾAndalus*. Al-ʾIskandariyya: Muʾassasat Shabāb al-Jāmiʿa, 1986.

_____. *Al-Maʾādhin al-Miṣriyya*. Al-ʾIskandariyya: Muʾassasat Shabāb al-Jāmiʿa, 1959.

_____. *Tārīkh al-dawla al-ʿArabiyya*. Al-ʾIskandariyya: Muʾassasat Shabāb al-Jāmiʿa, s. d.

Sebag, Paul. *La grande mosquée de Kairouan*. Paris: Delpire, 1963.

Troupeau, Gérard. "Le mot mihrab chez les lexicographes arabes." in *Le Mihrab dans l'architecture et les religions musulmanes*, Actes du colloque internationale tenu à Paris en mai 1980, 60-61. Leiden: E. J.-Brill, 1988.

العنوان: المَحَارِيبُ وَانْحِرَافَاتُ القِبْلَةِ بِالْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ الإِسْلاَمِيَّةِ بِإِفْرِيقِيَّةَ

ملخّص: نتيجة لتقديس القبلة كان الاتّجاه إليها ضروريّ في كلّ دور العبادة والعبادات المتصلة بالتّوجّه إليها كالصّلاة والدّعاء والذّبح وغيره ممّا أوجب تعليمها في المساجد والجوامع، ولكن بفعل الابتعاد جغرافيّا عن مكة نتيجة الفتوحات، فإنّ تعليمها شكل معضلة منذ أواسط القرن الأوّل الهجريّ. وهو ما حدا باللاّحقين الى إيجاد الحلول وما انجرّ عن ذلك من بروز بعض الظّواهر المعماريّة والفقهيّة، وهو ما سبّب الاختلاف في الاستنتاجات لدى الدّارسين. فما هي مفاهيم المحاريب ومتى ظهرت وما أسباب انحرافاتها وكيف تعامل الخلف مع ما أنشأه السّلف؟

الكلمات المفاتيح: الجامع، جدار القبلة، المحراب، الانحراف، المشرق، المغرب، الاتجاه، التّشريق، التّغريب.

Titre: Les *Mihrabs* et les déviations de la *Qibla* dans les lieux de prières et dans les mosquées d'Ifriquiyya (Tunisie)

Résumé: La vénération de la *Qibla* imposait de s'y orienter dans tous les lieux de culte et pour tous les actes religieux qui y étaient liés, tels que la prière, les invocations, les sacrifices, etc. De ce fait, son enseignement était nécessaire dans les lieux de prières et dans les mosquées. Cependant, l'éloignement géographique de La Mecque, conséquence des conquêtes, a rendu cet enseignement difficile dès le milieu du Ier siècle de l'Hégire. Ce problème a incité les érudits ultérieurs à trouver des solutions, donnant lieu à certains phénomènes architecturaux et jurisprudentiels, qui ont eux-mêmes engendré des divergences d'interprétation. Quels sont les concepts de *Mihrabs*? Quand sont-ils apparus? Quelles sont les raisons de leurs déviations? Et comment les générations suivantes ont-elles géré l'héritage de leurs prédécesseurs?

Mots-clés: Mosquée, mur de la *Qibla*, *mihrab*, déviation, Est, Ouest, direction, vers l'Est, vers l'Ouest.